

اللغة العربية والعولمة بين الواقع والتحديات

Arabic language and globalization; reality and challenges

خودة بن يمينه، مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث، عين تموشنت، (الجزائر)

khaoudamoni@gmail.com

تاريخ إرسال المقال: 17-08-2021 تاريخ قبول المقال: 11-10-2021

الملخص:

حاولنا في هذا البحث أن نضع اللغة العربية تحت المجهر ونتبين الترسبات الناجمة عن العولمة من ازدواجية لغوية، الاقتراض، ودعوات للتعليم باللغات الأجنبية، والعزوف عن الرسم العربي للحروف، والصراع بين الفصحى والعامية إلى غاية تجسيد الأفكار والتواصل عبر الصورة، وذلك بغية النهوض باللغة العربية والمساهمة في نشرها وتعليقها. الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، العولمة، صراع اللغات، النهضة اللغوية.

Abstract:

In this research ,we tried to put Arabic language under microscope and to realize the sediment resulting from globalization from bilingualism , borrowing ,up to embodiment of ideas and communication through the image in order to emprove and teach the Arabic

Key words : Arabic; globalization; language conflict; language renaissance.

مقدمة:

تواجه اللغة العربية العديد من التحديات ومن أهمها ظاهرة العولمة، والتي تعتبر حرباً على جميع اللغات، فيتم إما سيطرة اللغة الأقوى التي تملك مقومات القوة والهيمنة على جميع اللغات الأخرى، خصوصاً لغات الأمم التي تعاني من مخلفات عهود الاستعمار وتبذل جهداً للتحرر من قيودها، وإما بلبله اللغة أو انقراضها نتيجة تداولها المضطرب ودون ضوابط عبر وسائل التواصل الاجتماعي. ولو تتبعنا تأثير العولمة وخصوصاً الفعل التواصل الرقمي -الانترنت- على اللغة العربية قد نذهل بالنتائج التي ستؤثر سلباً على اللغة العربية في المستقبل، إذ أضحت الأرقام والصور وغيرها من الرموز وسائل للتعبير تزدحم اللغة عموماً والعربية بخصوص.

فالعولمة تعني تعميم الشيء وتوسيعه ليشمل العالم كله، أرض بلا حدود، سوق بلا حدود وثقافة بلا حدود؛ أي الاحتكاك والاندماج الثقافي والسياسي والاقتصادي والنزوان في الآخر وانهايار جميع الحواجز بمختلف أنواعها، فتكون الغلبة للأقوى. وعلى الرغم من أنها تأسست على مبادئ اقتصادية فسرعان ما تجاوزتها إلى السياسة والثقافة والمجتمع واللغة، فصارت المجتمعات ومقوماتها في مهب العولمة وتأثيراتها، وأضحت العولمة بمثابة فيروس يتسرب إلى المجتمعات يكتسي صفة التحضر والرقى لينال من الدعائم الأساسية للأمم، وبما أن اللغة هي وسيلة التواصل بين الشعوب فهي أولى الدعائم التي يطلها هذا الفيروس، فما تأثيرها على اللغة العربية؟ وما هي سلبياتها؟ وما هي سبل الحصانة من سلبيات العولمة وتوظيف إيجابياتها؟

نروم من خلال هذه الورقة البحثية أن نسلط الضوء على اللغة العربية ونستعرض انعكاسات العولمة والآثار المترتبة عنها متبعين المنهج الوصفي التحليلي باعتباره الأنسب لوصف المشكلات التي تعانيها اللغة العربية من ترسبات العولمة ويستكنه خباياها لنصل إلى العلاج والنهوض بها.

المبحث الأول: آثار العولمة على اللغة العربية:

العلم مشعل الحضارة، ومصدر قوة للشعوب وسلاحها الفتاك، حيث يقاس تقدم الأمم ورفقها بإنتاجها العلمي، وتعتبر اللغة وعاء للعلم والفكر، فتزدهر اللغة ويتسع انتشارها بمدى انتشار المحتوى الذي تحمله ومدى حاجة الناس إليه، فاللغة تؤثر وتتأثر بالحضارة والنهضة العلمية، فكلما قامت حضارة وبلغت أوجها، ازدهرت لغتها وامتد إشعاعها وانتشرت، وهذه القاعدة تسري منذ عصور وعلى جميع اللغات والحضارات التي عرفها الإنسان؛ إذن فاللغة جزء لا يتجزأ من السيادة، والحفاظ على اللغة هو حماية لهذه السيادة، لهذا تجد المستعمر أول حصن يسعى لإسقاطه هو حصن اللغة.

اللغة العربية ليست مجرد أصوات يعبر بها العرب عن أغراضهم، وليست مجرد وسيلة للتواصل وأداة للتخاطب، بل هي أكثر من ذلك، فهي وعاء للثقافة العربية وللحضارة الإسلامية، وهي الحاملة لرسالة عالمية، وهذا ما جعلها لغة مقدسة، ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بسيادة الأمة العربية والإسلامية ووجودها، لكنها لم تسلم من تيار العولمة الجارف الذي أبى إلا أن يزيلها من حصنها المنيع ويلبسها ثوب العجز والكساد، وتجلى ذلك من مختلف المشكلات التي تواجهها وعلى رأسها :

المطلب الأول: اللغة العالمية

اللغة العالمية ليست موضوعاً حديث الطرح بل يتكرر ظهوره بظهور قوى جديدة، وهو ما يعرف أيضاً بصراع اللغات وقد أشار إبراهيم أنيس إلى مختلف المحاولات عبر التاريخ لإنشاء لغة عالمية، وفي القرن التاسع عشر برزت دعوات تسعى إلى صياغة لغة عالمية تتناولها معظم الشعوب، وانقسمت هذه الدعوات بين مؤيد للعولمة اللغوية يدعوا إلى التماهي معها بإيجابياتها وسلبياتها وأخرى مناهضة لها تدعوا إلى رفضها جملة وتفصيلاً وتتجاهلها بسبب الآثار والخواطر التي ستحل بباقي اللغات، وأساس هذه الدعوات هو البحث عن لغة مصنوعة منطقية خالية من الشواذ، أو اصطناع لغة فيها بعض عناصر اللغات الحية الطبيعية¹. لكنها باءت بالفشل، حيث لا يمكن تصور العالم بلغة واحدة، وحتى إن وجدت فإنها ستتغير وتتقسم لا محالة.

نتيجة لمواكبة التطورات الحاصلة، وبحكم قوة الفعل السياسي والاقتصادي والثقافي والعلمي سيطرت اللغة الانجليزية وكانت لغة العولمة؛ إذ أن احتكار العلم والمعرفة وإنتاجهم بالانجليزية جعلها مطلباً ضرورياً لجميع الشعوب و مؤشراً من مؤشرات الرقي، هذا ما جعل معظمهم يتهافون على تعلمها وتداولها وتهميش اللغات الوطنية في المجالات المختلفة. وبدأت اللغة الانجليزية تتبوأ مكانة هامة، فتطورت طوال القرن العشرين لتصبح لغة تخاطب عالمية، تنتشر في جميع أنحاء العالم مع بدائل عالمية أو إقليمية²، فزيادة على أنها لغة العلم هي أيضاً لغة السفر ولغة التفاهم والتواصل في كل أنحاء العالم، هذا ما جعل بعضهم يعتبر أن تعلم اللغات الأجنبية مضيعة للوقت، وأن العالم بلغة واحدة سيكون أفضل حالاً، واللغة الواحدة ستعيد للعالم الوحدة والسلام، وتعيد له براءته كما كان قبل لغة بابل³. لكن هذه الهيمنة تؤثر سلباً على اللغات الأخرى، وستتسبب باندثارها ومحوها من الوجود.

وعلى الرغم من محاولات الوقوف في وجه العولمة اللغوية إلا أننا نشهد تقوفاً للغة الانجليزية على غيرها من اللغات، وذلك من خلال بعض الظواهر كالاقتراض اللغوي، حيث تعتبر لغة مانحة فيترايد الاقتراض منها خارج جماعتها اللغوية لتتكيف باقي اللغات مع هذا التطور.

المطلب الثاني: الازدواجية اللغوية والدعوة إلى العامية

لا يخفى على الجميع أن المجتمعات العربية تعيش نوعاً من الازدواجية اللغوية -diglossie- فهناك لغة رسمية تستعمل في المواقف الخاصة وتتمثل في الفصحى فهي لغة التلقي والتعليم و الكتابة، أما الخطاب اليومي و أساس التعاملات فيتم كله بالعامية، وهذا حال كل المجتمعات وليس وقفاً على العرب، وعلى الرغم من هذا لا تجد دعوات بالتخلي عن لغتهم الفصيحة بل يجتهدون في نشرها والمحافظة عليها، لكن الحال في العربية يختلف تماماً؛ إذ تجدهم يتهافون على استبدالها بالعامية ولهم في ذلك العديد من التبريرات.

لقد كانت أولى الدعوات إلى العامية منبعثة من مصر دون غيرها من الأمصار العربية_الشام والعراق_ والتي كانت منشغلة بالتصدي للحملة التركية على العربية التي كان يقودها أتاتورك، والدعوة إلى العامية لم تحرك بايديولوجية استعمارية بقدر ما كانت متأثرة بالفكر الدارويني بدليل أنها صدرت من الأفراد_ سبيتا(1880) ولكولس(1893)_، وتعرضت للفشل عدة مرات، فلو كانت أفكاراً استعمارية لروج لها المستعمر ومختلف مؤسساته الحكومية وفرضها فرضاً⁴. وكانت الغاية من الدعوة إلى العامية تيسير البحث العلمي آنذاك خاصة بعد النهضة العلمية التي عرفتها البلاد والأزمة اللغوية، حيث تعالت الدعوات الصريحة إلى العامية ونبذ الفصحى ونعتها بالقصور على استيعاب المصطلحات العلمية⁵؛ هذا القصور الذي كان نتيجة الضعف الذي عرفته العربية بسبب حملة التغريب التي واجهتها؛ حيث فرضت اللغة التركية، ثم اللغة الانجليزية والفرنسية فيما بعد فأصبحت حبيسة الكتب ولا يعرفها إلا فئة قليلة جداً، خاصة بعد انتهاج المستعمر سياسة التجهيل لفرض سيطرته وأصبح الإنتاج العلمي باللغة العربية مستعصياً.

ولازالت دعوات نشر العامية متواصلة بشكل أكبر وأكثر منهجية وتنظيم وذلك من خلال تأسيس أقسام خاصة لتعلمها ووضع المناهج والمقررات⁶، وبعد أن كانت الدعوة إلى العامية في بدايتها من قبل الأجانب صارت تحرك من قبل أبنائها؛ حيث تهافتوا على دراستها والتأليف بها، حتى أنها استعملت في تفسير القرآن الكريم، ومن هذه التفاسير ما ألفه عبد الله الطيب في تفسير القرآن الذي استحسنته الكثير⁷، وبالرغم من تمسكه بضوابط التفسير إلا أنه أغفل أثر تداول هذه التفاسير على اللغة العربية، هذا ما جعل المشكلة تتفاقم أكثر، وتصبح العامية خطراً على مكتسباتنا الدينية والفكرية والقومية، ووصلنا إلى المراحل الأخيرة للقضاء على اللغة العربية ونحن نسير على النهج الذي سارت فيه اللغات الأوروبية.

و نلفت الانتباه إلى أن التعدد اللغوي أو ثنائي يستنزف أموالاً طائلة، والدول التي تعاني منه تخصص ميزانية خاصة وكبيرة لتنهض باقتصادها وبلغتها الأم فكيف لنا أن نستبدلها بلهجات لا تملك من

الميزات ما يجعلها قادرة على الإحلال محل الفصحى، فعلى الرغم من سهولة العامية ويسر جريانها على الألسن إلا أنها تبقى عاجزة عن مسايرتها للعولمة مما يجعلها تقترض من اللغات الأجنبية فهي هجين يجمع عدة لغات.

المطلب الثالث: التعليم باللغات الأجنبية

عندما نتحدث عن جمود وركود اللغة العربية، وتراجع الاهتمام المجتمعي بها، فإن أصابع الاتهام سرعان ما توجه إلى خلل المناهج الدراسية في مختلف المراحل التعليمية، فهي تعاني تخلفاً حقيقياً في مواكبة المتغيرات العلمية والثقافية العالمية من حولنا، فضلاً عن اعتبارها جزءاً عام يرتبط بحالة الحراك الاجتماعي والثقافي والاقتصادي في المجتمع. فمواكبة التطورات ومسايرة العولمة لا يعني اقتراض المناهج العربية وتطبيقها على المنظومة التربوية أو فرض اللغات الأجنبية، بل هو أكثر من ذلك بكثير؛ فلا بد من دراسة هذه المناهج وتحليلها واستنباط مواطن الضعف والقوة، ومن ثم تأتي مرحلة الانتقاء ثم التطبيق، فنجاحها في الدول المتقدمة لا يعني بالضرورة ملاءمتها لمجتمعنا؛ فكل مجتمع خصوصيته، فلا بأس أن نسير على خطاهم بغية التقدم ومواكبة العولمة، لكن يجب أن نكون ممنهجين ومتحفظين.

ولا يخفى علينا أن التعليم هو تلقين أنواع المعارف وإرشاد إلى قواعد السلوك⁸، فهو يحرر العقول من الجهل، الهدف منه اكتساب معارف ومهارات وقيم، فالتعليم يجمع بين عدة أمور وينميها - لغة، ثقافة، قيم، معارف، مهارات - ونظراً لأهميته تجد الغزاة يتهافتون إليه بغية ترسيخ قيمهم وثقافتهم ونشر لغتهم، هذا ما دفع كرومر عند غزوه لمصر إلى وضع "خطة تعليمية تستهدف إبعاد اللغة العربية عن ميدان التعليم، ويستبدلها لغة قومه"⁹، وهذا ما جعل أيضاً فرنسا تنشر لغتها وتتوجها كلغة رسمية لكامل مستعمراتها.

تواجه اللغة العربية وتعليمها في الوطن العربي العديد من المشاكل حالياً، ومن أهمها: الازدواجية اللغوية، الثنائية اللغوية ونقشي ظاهرة تعدد اللغات وتعليم المواد باللغة الأجنبية؛ فقد بدأت المدارس العالمية التي تُدرّس باللغات الأجنبية بالانتشار بشكل واسع مؤخراً في الوطن العربي، مما يُشكل أزمة إضافية للغة العربية وتهديداً آخر لها، كما تواجه اللغة العربية ضعفاً شديداً في توفير بدائل عربية للمصطلحات الحديثة. ولذلك فقد أصبحت المواد في الجامعات تُدرّس باللغة الإنكليزية.

وبما أن اللغة أمر ضروري في اكتساب المعارف، فلقد التفت المتخصصون إلى أهمية دراسة مهارات اللغة وتحليلها عند التصدي لوضع المواد التعليمية. وهذا ما جعل الكثير منهم يشيد باللغة الأم ويربطها بتحصيل المعارف، وبالرغم من هذا تجد العديد من الدول العربية ترفض ترجمة مناهج الطب إلى

اللغة العربية وتحرص على ضرورة تعلمها باللغات الأجنبية، مع أن اللغة العربية ليست قاصرة وقد أثبتت من قبل قدرتها على نقل مختلف العلوم ببراعة وأصبحت لغة العلوم وأداة الحضارة.

المطلب الرابع: اللغة العربية و الرسم العربي

يعتبر الرسم العربي رمزا من رموز الهوية العربية، كما تعتبر الكتابة وسيلة من أهم وسائل البيان "ولطالما أدرك العرب المسلمون أهمية الخط وصلته الحميمة باللغة العربية"¹⁰، وفي المراحل الأولى من توسعها استعارت حروفها الكثير من اللغات، ولكن في المراحل الأخيرة تعالت الدعوات لاستبدال رموزها واستعمال الحروف اللاتينية¹¹ بحجة تيسير تعلمها؛ فهم يرون أن الكتابة العربية تنفرد بمواطن خلل لا نجدها في غيرها نحو¹²:

تدوين الأحرف خالية من الحركات وهذا يترتب عليه من إخلال للمعنى.

تعدد صور الحرف الواحد الذي يعتبر من الأمور المستعصية في الطباعة سابقا.

التفرقة بين مجموعات الحروف على أساس عدد وموضع النقط.

إن هذه الانتقادات الموجهة للكتابة العربية ليست حكرا عليها، فلو أمعنت النظر إلى غيرها من الخطوط تكتشف أنها لا تخلو من هذه المشكلات، ولا تصلح أن تكون حلا بديلا للرموز العربية¹³، بل قد تكون عائقا آخر يعمل على انحلال اللغة الفصحى وذوبانها.

المطلب الخامس: العربية ووسائل الاتصال الحديثة

ومن المعروف أن العولمة هي "مرحلة ما بعد الاستعمار، وهي مرتبطة عضويا مع وسائل الاتصال الحديثة لنشر ثقافتها القائمة على الاختراق"¹⁴، فكان الخط أول باب يطرقه التغيير، ثم تجاوزته لتخترق العربية الفصحى وتلون بها بمزيج من العامية ولغات أجنبية أخرى إلى أن أصبح التواصل عبر الصور لتتربع هذه الأخيرة على عرش العلامات والتواصل

فبعد ظهور الحاسوب عانت اللغة العربية نتيجة عدم دعمها في هذا المجال، فقبل إنتاج لوحة مفاتيح تحمل الأحرف العربية استعملت الرموز اللاتينية وتواصل استعمالها بعد ذلك خاصة مع بروز الهواتف النقالة والانترنت؛ وتم إغراق العربية في سيل من الألفاظ الأجنبية، كما أصبحت تستعمل الأرقام في الكتابة والدرشة نتيجة القصور الذي خلفه استعمال هذه الرموز.

وفي عصر السرعة ورغبة في الاختصار والسهولة والمرونة انتشرت كتابات على صفحات التواصل الاجتماعي اخترقت كل الأعراف وأصبحت تهدد كل اللغات، فانتشار اللغة لم يبق مرتبطا بالتطور العلمي بقدر ما هو مرتبط بالتفاعل الاجتماعي و مدى قناعة الأفراد بأهمية اللغة ومدى ارتباطها بهويتهم. فاللغة عند مستعمل شبكات التواصل الاجتماعي هي مجرد وسيلة يمكن الاستغناء عنها إذا

حضرت بدائل أخرى ونقل العناية بها، لذلك تنتشر الكتابة بالعامية، كما تستعمل الاختصارات المخلة، وأحيانا تكرر الحروف في كلمة معينة لتحميلها شحنة عاطفية رائج، أو تستعمل الصور، وهذا كله بات يُشكل تهديدا حقيقيا للغة العربية الفصحى.

يقول بول فيرليو: إن الثورة والسلطة رهينتان بالسرعة، ففي المجتمع اليوناني كانتا لصاحب المراكب الأسرع.... وفي عصر الصناعة تحولتا للأسرع في إنتاج البضائع وتصريفها، واليوم عصر العولمة صارتا الأسرع في نقل المعلومات¹⁵، ففي ظل العولمة و ضيق الوقت تراجع استعمال النظام اللغوي مقارنة بالصورة التي ارتفع معدل التواصل من خلالها خاصة مع انتشار استعمال الكمبيوتر فالصورة أصبحت أبلغ من الكلمة، وهي تغطي مجالات الاتصال العام، وهي تؤسس لغاية التحول اللغوي حقيقة إن استعمال اللغة العربية على الشبكة العنكبوتية ضئيل مقارنة بالإنجليزية والفرنسية والصينية واليابانية، وهذا نتيجة انحسار مد النهضة العربية وتراجعها العلمي، وبما أن أمريكا هي الرائدة في صناعة الحواسيب فإن لغتها هي الأكثر انتشارا؛ حيث يتم التعامل بها بنسبة 43%، بينما العربية لا تتجاوز نسبة 0,6%. فعزوف المستخدم عن استخدام اللغة العربية لا يبرره سيطرة أمريكا على هذه الصناعات والريادة في العلوم والتكنولوجيا بقدر ما هو مرتبط بالضعف السياسي والفكري والثقافي.

إن وسائل الاتصال الحديثة على رأسها الانترنت من أهم الوسائط التي يسهل استثمارها في الترويج للغة، وأكثرها سرعة لكنها تستوجب التعامل معها بذكاء وفطنة في سبيل تعليم اللغة العربية، كما يتوجب منا وعيا قوميا بأهمية لغتنا، وعلينا أن ندرك أن مستقبلنا مرهون برعاية لغتنا والاهتمام بها فنساهم معا للنهوض بها.

المبحث الثاني: الاستراتيجيات الواجب إتباعها للنهوض باللغة :

يقول المستشرق أرنست رينان: "إن أغرب ما وقع في تاريخ البشر، وصعب حل سره، انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ بدء، فبدأت فجأة في غاية الكمال، سلسلة أي سلسلة، غنية أي غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها إلى يومنا هذا أي تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول أمرها تامة مستحكمة، من أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها"¹⁶.

ويؤكد مونتغمري أن اللغة العربية قد أثبتت من قبل قدرتها¹⁷، فهي قادرة على مواجهة الهجمات المتتالية للعولمة بكافة أشكالها والتصدي لها، نظرا لخصوصيتها فهي تمتاز بنظام تركيبى خاص كما تتميز بالإعراب الذي بقيت محافظة عليه، إذ يعد من أقوى عناصرها، كما أنها لا تقبل الدخيل إلا بعد

تطويعه وتهذيبه حتى يكون ملائماً لأوزانها وأبنيته، وتتميز عن غيرها من اللغات بكثرة أصواتها التي لا تتكرر كما تحتوي على أصوات لا توجد في بقية اللغات فهي واسعة ومتعددة المداخل، وهذا ما يجعلها قادرة على استيعاب اللغات الأخرى، كما لها خاصية الاشتقاق التي تعد مظهراً نادراً بفضلها تتسع اللغة وتتكاثر على نحو يجعلها قادرة لمواكبة التطورات واستيعابها مختلف المصطلحات العلمية الحديثة، وخاصية الاشتقاق تجعلها من أغنى اللغات وأكثرها ثروة، فالمهمل من ألفاظها أكثر بكثير من المستعمل؛ إذ يقدر بأكثر من ستة ملايين بينما المستعمل لا يتجاوز ستة آلاف، حيث يمكن استعمال المهمل في تعريب المصطلحات العلمية الحديثة ومواكبة التقدم العلمي.

و تجنباً للخطر الذي يهدد سلامة اللغة، لابد أن نخضع التطور اللغوي إلى مبدأ التوازن والأخذ بالجديد في قالب قديم التزاماً بالضوابط صوتية، نحوية، صرفية؛ أنظمة قياسية يجري فيها صوغ مطرد و تقليد محفوظ¹⁸، وتشرف المجامع اللغوية على العملية بتجنيد مختصين لهم وسع دراية بخبايا وخصائص اللغة العربية حتى يتم المحافظة على الكيان الأصيل، فالتطور اللغوي منفعة للمتكلم العربي لكن لابد من مراعاة التغيرات و جهود المتقدمين عند ضبط الأنظمة اللغوية.

المطلب الأول: القرآن الكريم واللغة العربية

يكاد يجمع الكثير من الباحثين والعلماء ومنذ عصور على أن القرآن الكريم كان سبباً من أسباب خلود اللغة العربية¹⁹؛ إذ بفضلها بقيت حية وفعالة إلى يومنا هذا على الرغم من الصعوبات والتحديات التي عرفتتها خاصة في العصور الأخيرة، حيث ساد الجهل باللغة العربية وبالدين لما عرفتته الأمم العربية من تخلف نتيجة الاستعمار والغزو المتتالي، وهذا ما راح إليه الرافعي في قوله: "إن القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية، فلا يزال أهله مستعربين به متميزين بهذه الجنسية حقيقة أو حكماً حتى يتأذن الله بانقراض الخلق وطّي هذا البسيط"²⁰، فالعامل الديني هو من أهم أسباب انتشار اللغة العربية²¹. فالقرآن الكريم حفظ لنا الأسس اللسانية السليمة للغة العربية حيث حافظ عليها شكلاً ومضموناً، وهي لا تزال تحتفظ بكثير من خصائصها لارتباطها به، كما أن تعلم اللغة العربية مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتعلم وحفظ القرآن الكريم، فلطالما تميز حفظه بفصاحة أسنتهم حيث يتزودون بمعجم لغوي ثري بمواده، كما يكتسبون أساليب لغوية، واعتاد العرب قديماً على تلقين القرآن الكريم لأولادهم في الكتاب والمساجد في المراحل الأولى من حياتهم، فيستمعون إلى القرآن ويتعلمون نطقه وكتابته، وبهذا تنتش الملكة اللغوية وتزدهر لدى الطفل الصغير الذي ينمو ويتزدهر في ضلال القرآن ورعايته، هذا ما يحميه من الازدواج اللغوي ويجنبه الضياع بين العامية والفصحى كما يعطيه طاقة نضالية وصلابة خلقية، وزخماً إيمانياً، لا

يتخلّى عنه طوال عمره²²، وعليه يصبح النص القرآني من أهم المرجعيات النصية في تعليم اللغة العربية والقيم الإسلامية.

إن تعليم القرآن الكريم سيكون بمثابة السد المنيع الذي يستطيع أن يقف في وجه هذه الدعوات، كما أنه قادر على الارتقاء باللغة العربية الفصحى والإعلاء من شأنها مثلما استطاع سابقا أن يوحد اللهجات العربية التي كانت منتشرة من قبل، حيث تسارع العرب إلى إتباع نهجه في الفصاحة والبيان²³، فلا بد من إعادة إحياء هذه العادة الكريمة التي غابت عنا اليوم، فزيادة على تعلم كتاب الله وتعاليم دينه فهو يتعلم لغته ويحسن مستواه و يزداد تمسكا بهويته العربية والإسلامية، كما ينبغي للجانب العلمي المكلف بإعداد المناهج التعليمية أن تستثمر هذه الطاقة الكامنة وتفعيلها وفق الشروط اللازمة والمعايير المناسبة لتعزيز التحصيل اللغوي للمتعلمين.

المطلب الثاني: السياسة التعليمية

النظام التعليمي يعتبر العمود الفقري لنماء ورفي المجتمعات، وأساس التطور الحضاري، وهو قادر على الارتقاء وتجديد الذات الثقافية والاجتماعية والتنمية للدولة والمجتمع معا، كما يمكن استثمار هذا القطاع في الحفاظ على اللغة القومية أو نشر اللغات الأجنبية، فمن خلاله استطاعت الكنيسة في كندا أن تدعم الفئة الناطقة بالانجليزية وبفضله تضاعلت نسبة الناطقين بالفرنسية من 30% إلى 25،7% في بضعة سنوات²⁴، لذا يمكن اعتماد اللغة العربية في قطاع التعليم بمختلف مستوياته خاصة بالجامعات، فالوضع الحالي يتطلب حولا ليس أقلها مراجعة السياسات التعليمية المتبعة ووضع تخطيط لغوي.

فالتخطيط اللغوي هو الاستراتيجيات والإجراءات التي تتخذها الدولة لتنمية لغوية تشمل عدة مجالات، و "هو كل تدخلات الحكومة في مجال الاتصال..... أي التنظيم القانوني الصارم في حالات تعليم التعدد اللغوي والثنائية اللغوية الرسمية وتعليم اللغة الرسمية وبشكل خاص تعليم اللغة الأم"²⁵. فالتخطيط اللغوي يشمل المشاريع الممولة من الدولة كإنشاء المؤسسات التعليمية والمعاهد والأكاديميات التي تعمل على تعليم اللغة وترجمتها ودراسة سبل نشرها والحفاظ عليها من خلال مشاريع ودراسات مختلفة: كالبنوك اللغوية التي تسعى إلى صك المصطلحات وإنشاء المعاجم الوظيفية، والإصلاح اللغوي الذي يشمل إصلاح الكتابة أو الإملاء أو تقويم اللغة.

المطلب الثالث: التصدير اللغوي

سياسة التصدير اللغوي من أنجح الطرق، وقلة من اللغات التي تصدر من البلد أو الإقليم التي تُحدث فيه محليا إلى الأجزاء الأخرى من العالم²⁶، لكنها أكثر تكلفة، حيث تجند الدولة هيئات ووكالات ومعاهد وسيطة متخصصة للترويج للغتها، وتقدم إعانات مالية ضخمة للتصدير اللغوي، وجاءت هذه الفكرة نتيجة استيعاب الدول للعلاقة بين اللغة والاقتصاد وعملية التأثير والتأثر بينهما، فكلما زادت الرغبة في تعلم لغة بعينها زادت الرغبة في استعمال خدماتها التجارية واستهلاك سلعها فينتعش اقتصادها، ويمكن الترويج للغة من خلال الثقافة؛ فكلما انبهر العالم بثقافة معينة أقبل على تعلم لغتها، ويمكن توسيع نطاق تعلم لغة ما من خلال توسيع وزيادة أماكن تعلمها، أو من خلال التنويع من المنتجات اللغوية²⁷؛ أي بتقديم تعليم متخصص حسب العرض ويكون ذلك بدراسة المجتمع الذي تسعى إلى الترويج فيه للغتك ومعرفة متطلباته واختياراته.

كما يمكن تفعيل اللغة من خلال الاقتصاد فلو أخذنا اللغة الانجليزية تجدها بمثابة التأشيرة التي لا بد من الحصول عليها لدخول سوق العمل خاصة في ظل انتشار الشركات متعددة الجنسيات التي تنتشر في مختلف دول العالم. فلا بد من السماح للغة العربية بالسيطرة على المجالات الأكثر إدرازا للدخل؛ وذلك عن طريق سن قوانين متعلقة باللغة كتعريب القطاعات المختلفة لاسيما التجارة، الاقتصاد، الخدمات، الاتصالات وغيره بغية تحقيق سياسة لغوية فعالة. وزيادة على ذلك يمكن استثمار اللغة في الإشهار باعتبارها الفسحة الأكثر تأثيرا على مختلف الفئات.

خاتمة:

تواجه اللغة العربية خطرا كبيرا وتهديدا ثلاثي التوجه - اقتصادي، سياسي، ثقافي - ولتحدي العولمة والنهوض باللغة لا بد من سياسة إستراتيجية تشمل التوجهات الثلاثة، ولها مرتكزات قومية معرفية، أي ذات بناء ذاتي، وبما أن الإنسان هو عنصر التنمية وجب إفاقة من هم في سبات التحضر والوقوف وقفة تفكر وتدبر للرجوع بها إلى سابق عهدها، فالتفكير في مستقبل اللغة العربية ضرورة حتمية، لما لها من صلة وثيقة بسيادة الأمة العربية والإسلامية.

إن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والدين الحنيف فهي روح الأمة و هوية المسلم ووعاء للفكر والحضارة ، كما أنها تتسم ببيانها الأخاذ هذا ما يجعلها تنبؤا مكانة مرموقة بين اللغات، وهي تتسم بمرونة تجعلها قادرة على مسايرة العولمة، فهي نفس اللغة التي واكبت النهضة العلمية في القرن السادس ميلادي واستوعبت مختلف العلوم والكتب السريانية واللاتينية والرومانية واليونانية في العصر العباسي لما كانت مدعومة برجال غيورين، ونفس اللغة التي أعادت بناء الخريطة اللغوية في القرن السابع، وهي نفس اللغة

التي صمدت في وجه الحملات والحروب المتتالية، وبقيت محافظة على خصائصها، ولا تزال منافسا قويا تهابه جميع اللغات، وستبقى قادرة على التجديد المؤسس على أصالة لغوية مصانة بضوابط تصون خصوصيتها، ولمواجهة العولمة اللغوية لابد من تضافر كل الجهود واستغلال كل الوسائل للنهوض باللغة العربية وذلك من خلال :

- غرس الوعي القومي والديني في نفوس الناشئة.
- إنشاء مدارس قرآنية لتحفيظ القرآن الكريم .
- العمل على تطوير المناهج التعليمية .
- إنشاء مجالس وهيئات لحماية اللغة العربية ولبلورة المصطلحات العلمية.
- دعم التصدير اللغوي من خلال المجال الثقافي والاقتصادي.
- استغلال الوسائل والتقنيات الحديثة لتصدير اللغة العربية وتوسيع رقعة الناطقين بها.
- وضع استراتيجيات وسياسة وطنية لتنهض باللغة العربية.
- تقويم أساليب تعليم اللغة العربية واستغلال أحدث الوسائل والتقنيات.
- تعميم استعمال اللغة العربية في جميع المؤسسات.
- التعامل مع اللغة العربية بامتهان في المجالات التقنية الحديثة والانترنت.
- العمل على تعميم وتعليم العربية لغير العرب كمنح تدريب للمهاجرين.

- 1_ ينظر: إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف ، مصر، 1970، ص 311 .
- 2_ ينظر: جوران توربون، العولمات : الأبعاد و الموجهات التاريخية و المؤثرات الإقليمية و توجيه الحكم المعياري، الثقافة العالمية، ترجمة بدر الرفاعي، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت، العدد 106 ، جوان 2001 ، ص(8_20).
- 3_ ينظر: م.ن. ص.ن.
- 4_ ينظر: عبدالله أحمد خليل إسماعيل، قراءة جديدة في قضية الدعوة إلى العامة ،مجلة الجامعة الإسلامية، مج5، ع2، 1997 ص(61،66).
- 5_ ينظر: سلامة موسى، البلاغة العصرية واللغة العربية، ص(101،103).
- 6_ ينظر: مازن بن صلاح مطبقاني، الاستشراف المعاصر في منظور الإسلام ، ط1، دار اشبيليا، الرياض، ص 140.
- 7_ ينظر عبد الله الطيب المجذوب، تفسير جزء عم، ط2، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 1404 هـ. وينظر: عصام التجاني محمد إبراهيم، رحمة بنت أحمد عثمان، اللهجة العامة في تفسير عبدالله الطيب المجذوب، مجلة الإسلام في آسيا، مارس 2011.
- 8_ ينظر: خالد البصيص، التدريس العلمي والفني الشفاف بمقاربة الأهداف، دار التنوير، الجزائر، 2004، ص 133.
- 9_ ينظر: الزركان محمد علي، التحديات المعاصرة التي تواجه اللغة العربية (الندوة السنوية لجمعية البحوث والدراسات العرب وتحديات المستقبل) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.
- 10_ تحسين حميد مجيد، الخط العربي في معجم الأدباء، مجلة ديالي، ع35، 2009، ص 6.
- 11_ ينظر: محمد عبدالشافي القوصي، عبقورية اللغة العربية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيكو، 2016، ص 54.
- 12_ طالب عبد الرحمن، نحو تقويم جديد للكتابة العربية، كتاب الأمة، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1999، ص 63. وينظر: إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 1982، ص(236_240).
- 13_ ينظر: طالب عبد الرحمن، نحو تقويم جديد للكتابة العربية، ص (70_71).
- 14_ عبد الله أحمد أبو راشد، العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية، مكتبة بستان المعرفة لطباعة والنشر والتوزيع، 1999، ص 10.
- 15_ ينظر: شاكر عبد الحميد، عصر الصورة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2008، ص 8.
- 16_ مازن بن صلاح مطبقاني، الاستشراف المعاصر في منظور الإسلام ، ص 141.
- 17_ ينظر: مجلة القافلة، شركة الزيت العربية السعودية، أرامكو السعودية، الظهران، ع3، مج64، مايو / يونيو 2001.
- 18_ ينظر: أحمد محمد قدور، مدخل إلى فقه اللغة العربية، دار الفكر، دمشق، ص 357.
- 19_ ينظر: أحمد حسن الباقوري، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، دار المعارف، مصر، 1969، ص 33.
- 20_ مصطفى صادق، تحت راية القرآن، ج1، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص 39.
- 21_ عبد العزيز بن عثمان التويجري، اللغة العربية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيكو. 2008، ص 43.
- 22_ ينظر: طالب عبد الرحمن، نحو تقويم جديد للكتابة العربية، ص 38.
- 23_ ينظر: عبد الله عبد الناصر جبيري، لهجات العرب في القرآن الكريم، دراسة استقرائية تحليلية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص 207.
- 24_ ينظر: فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، تر: أحمد عوض، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2000، ص 114.
- 25_ م.ن. ص 130.

26 _ ينظر: م،ن، ص135.

27_ ينظر: م،ن، ص 130.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- 1_ إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، القاهرة، 1970 .
- 2_ أحمد حسن الباقوري، أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ، دار المعارف، مصر، 1969.
- 3_ أحمد محمد قدور، مدخل الى فقه اللغة العربية، دار الفكر، دمشق.
- 4_ أيمل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 1982.
- 5_ خالد البصيص، التدريس العلمي والفني الشفاف بمقاربة الأهداف، دار التنوير، الجزائر، 2004.
- 6_ الرافعي مصطفى صادق، تحت راية القرآن، ج1، ط1، المكتبة العصرية، صيدا بيروت.
- 7_ الزركان محمد علي، التحديات المعاصرة التي تواجه اللغة العربية (الندوة السنوية لجمعية البحوث والدراسات العرب وتحديات المستقبل) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.
- 8_ سلامة موسى، البلاغة العصرية واللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012.
- 9_ شاكر عبد الحميد، عصر الصورة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2008.
- 10_ طالب عبد الرحمن، نحو تقويم جديد للكتابة العربية، كتاب الأمة ، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1999.
- 11 _ عبد الله أحمد أبو راشد، العولمة في النظام العالمي والشرق أوسطية، مكتبة بستان المعرفة لطباعة والنشر والتوزيع، 1999.
- 12 _ عبد الله عبد الناصر جبيري، لهجات العرب في القرآن الكريم، دراسة استقرائية تحليلية، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.
- 13 _ عبد الله الطيب المجذوب، تفسير جزء عم، ط2، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، 1404 هـ .
- 14_ عبد العزيز بن عثمان التويجري، اللغة العربية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. ايسيكو. 2008.

- 15 _ فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، تر: أحمد عوض، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2000.
- 16 _ مازن بن صلاح مطبقاني، الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام، ط1، دار اشبيليا، الرياض.
- 17 _ محمد عبد الشافي القوصي، عبقرية اللغة العربية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيكو، 2016.

المقالات:

- 18 _ تحسين حميد مجيد، الخط العربي في معجم الأدباء، مجلة ديالي، ع35، 2009.
- 19 _ جوران توربون، العولمات : الأبعاد و الموجهات التاريخية و المؤثرات الإقليمية وتوجيه الحكم المعياري، الثقافة العالمية، ترجمة بدر الرفاعي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، العدد 106، جوان 2001.
- 20 _ عبدا لله أحمد خليل إسماعيل، قراءة جديدة في قضية الدعوة إلى العامية، مجلة الجامعة الإسلامية، مج5، ع2، 1997.
- 21 _ عصام التجاني محمد إبراهيم، رحمة بنت أحمد عثمان، اللهجة العامية في تفسير عبد الله الطيب المجذوب، مجلة الإسلام في آسيا، مارس 2011.
- 22 _ مونتغومري، مجلة القافلة، شركة الزيت العربية السعودية، أرامكو السعودية، الظهران، ع3، مج64، مايو / يونيو 2001